سورة الرعد

١ـ **هكذا سميت من عهد السلف**، وذلك يدل على أنها مسماة بذلك من عهد النبي ﷺ إذ لم يختلفوا في اسمها.

وإنما سميت بإضافتها إلى الرعد؛ لورود ذكر الرعد فيها بقوله ـتعالىـ: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾.

فسميت بالرعد؛ لأن الرعد لم يُذْكَرْ في سورة مثل هذه السورة؛ فإن هذه السورة مكية كلُّها أو معظمها.

وإنما ذكر الرعد في سورة البقرة، وهي نزلت بالمدينة.

وإذا كانت آيات: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ مما نزل بالمدينة ـكما سيأتيـ تعين أن ذلك نزل قبل نزول سورة البقرة.

وهذه السورة مكية في قول مجاهد وروايته عن ابن عباس، ورواية علي بن أبي طلحة، وسعيد بن جبير عنه، وهو قول قتادة. ٧٥/١٣

٢ـ **ومعانيها جارية على أسلوب معاني القرآن المكي** من الاستدلال على الوحدانية، وتقريع المشركين، وتهديدهم.

والأسباب التي أثارت القول بأنها مدنية أخبار واهية، وسنذكرها في مواضعها من هذا التفسير، ولا مانع من أن تكون مكية، ومن آياتها آيات نزلت بالمدينة وألحقت بها؛ فإن ذلك وقع في بعض سور القرآن؛ فالذين قالوا: هي مكية لم

يذكروا موقعها من ترتيب المكيات سوى أنهم ذكروها بعد سورة يوسف، وذكروا بعدها سورة إبراهيم.

والذين جعلوها مدنيةً عَدُّوها في النزول بعد سورة القتال، وقبل سورة الرحمن، وعدوها سابعةً وتسعين في عداد النزول.

وإذ قد كانت سورة القتال نزلت عام الحديبية، أو عام الفتح تكون سورة الرعد بعدها.

وعدت آياتها ثلاثاً وأربعين من الكوفيين، وأربعاً وأربعين في عدد المدنيين، وخمساً وأربعين عند الشام. ٧٦/١٣

٣ـ **مقاصدها:** أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول ﷺ فيما أوحي إليه من إفراد الله بالإلهية، والبعثِ، وإبطال أقوال المكذبين؛ فلذلك تكررت حكايةُ أقوالِهم خمسَ مراتٍ موزعةً على السورة بدءاً ونهاية.

ومهَّد لذلك بالتنويه بالقرآن، وأنه منزلٌ من الله، والاستدلالُ على تفرده ـتعالىـ بالإلهية بدلائل خلق العَالَمَين، ونظامِهما الدال على انفراده بتمام العلم والقدرةِ، وإدماجِ الامتنان؛ لما في ذلك من النعم على الناس.

ثم انتقل إلى تفنيد أقوال أهل الشرك، ومزاعمهم في إنكار البعث.

وتهديدِهم أن يحل بهم ما حل بأمثالهم.

والتذكيرِ بنعم الله على الناس.

وإثباتِ أن الله هو المستحقُّ للعبادة دون آلهتهم.

وأن اللهَ العالمُ بالخفايا، وأن الأصنامَ لا تعلم شيئاً، ولا تُنْعِمُ بنعمة.

والتهديدُ بالحوادث الجوية أن يكون منها عذابُ للمكذبين كما حل بالأمم قبلهم.

والتخويفُ من يوم الجزاء، والتذكيرُ بأن الدنيا ليست دارَ قرارٍ.

وبيانُ مكابرةِ المشركين في اقتراحهم مجيءَ الآيات على نحو مقترحاتهم.

ومقابلةُ ذلك بيقين المؤمنين، وما أعد الله لهم من الخير.

وأن الرسولَ ﷺ ما لقي من قومه إلا كما لقي الرسل ـ عليهم السلام ـ من قبله.

والثناءُ على فريق من أهل الكتب يؤمنون بأن القرآنَ منزلٌ من عند الله.

والإشارةُ إلى حقيقة القدر، ومظاهر المحو والإثبات.

وما تخلل ذلك من المواعظ والعبر والأمثال.١٣/٧٦ـ٧٧

٤ـ وجاءت صلة: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ وما عطف عليها وهوَ: ﴿أَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا﴾ بصيغة المضي لإفادة تحقق هذه الأفعال الثلاثة لهم، وتمكنها من أنفسهم؛ تنويهاً بها؛ لأنها أصول لفضائل الأعمال.

فأما الصبر: فلأنه مِلاك استقامة الأعمال ومصدرها؛ فإذا تخلق به المؤمن صدرت عنه الحسنات والفضائل بسهولة، ولذلك قال ـتعالىـ: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

وأما الصلاة: فلأنها عماد الدين، وفيها ما في الصبر من الخاصية لقوله ـتعالىـ: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ وقوله ـتعالىـ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾.

وأما الإنفاق: فأصله الزكاة، وهي مقارنة للصلاة كلما ذكرت، ولها الحظ الأوفى من اعتناء الدين بها، ومنها النفقات والعطايا كلها، وهي أهم الأعمال؛ لأن بذل المال يشق على النفوس؛ فكان له من الأهمية ما جعله ثانياً للصلاة. ١٣/١٢٨-١٢٩

٥- **وجملة: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾** مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن جملة: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ تقتضي أن الوعيد كائن وليس تأخيره مزيلاً له.

ولما كان في ذلك تأييسٌ للناس عَقَّب بالإعلام بأن التوبة مقبولة، وبإحلال الرجاء محل اليأس، فجاءت جملة: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ احتراساً.

وحقيقة المحو: إزالة شيء، وكثر في إزالة الخط أو الصورة، ومرجع ذلك إلى عدم المشاهدة، قال -تعالى-: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾.

ويطلق مجازاً على تغيير الأحوال، وتبديل المعاني كالأخبار والتكاليف والوعد والوعيد؛ فإن لها نسباً ومفاهيم إذا صادفت ما في الواقع كانت مطابقتها؛ إثباتاً لها، وإذا لم تطابقه كان عدم مطابقتها محواً؛ لأنه إزالة لمدلولاتها.

والتثبيت: حقيقته جعل الشيء ثابتاً قارّاً في مكان، قال -تعالى-: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾.

ويطلق مجازاً على أضداد معاني المحو المذكورة؛ فيندرج في ما تحتمله الآية عدة معان: منها أنه يعدم ما يشاء من الموجودات، ويبقي ما يشاء منها، ويعفو عما يشاء من الوعيد ويقرر، وينسخ ما يشاء من التكاليف ويبقي ما يشاء.

وكل ذلك مظاهر لتصرف حكمته وعلمه وقدرته.

وإذ قد كانت تعلقات القدرة الإلهية جارية على وفق علم الله ـتعالى ـ كان ما في علمه لا يتغير؛ فإنه إذا أوجد شيئاً كان عالماً أنه سيوجده، وإذا أزال شيئا كان عالماً أنه سيزيله وعالماً بوقت ذلك.

وأَبْهَمَ المحو والمثبت بقوله: ﴿مَا يَشَاءُ﴾ لتتوجه الأفهام إلى تعرف ذلك والتدبر فيه؛ لأن تحت هذا الموصول صوراً لا تحصى، وأسباب المشيئة لا تحصى.

ومن مشيئة الله ـتعالى ـ محوَ الوعيد أن يلهم المذنبين التوبة والإقلاع ويخلق في قلوبهم داعية الامتثال.

ومن مشيئة التثبيت أن يصرف قلوب قوم عن النظر في تدارك أمورهم، وكذلك القول في العكس من تثبيت الخير ومحوه.

ومن آثار المحو تَغَيُّرُ إجراءِ الأحكام على الأشخاص، فبينما ترى المحارب مبحوثاً عنه، مطلوباً للأخذ، فإذا جاء تائباً قبل القدرة عليه ـ قُبِلَ رجوعُه، ورفع عنه ذلك الطلب.

وكذلك إجراء الأحكام على أهل الحرب إذا آمنوا ودخلوا تحت أحكام الإسلام.

وكذلك الشأن في ظهور آثار رضى الله، أو غضبه على العبد؛ فبينما ترى أحداً مغضوباً عليه، مضروباً عليه المذلة؛ لانغماسه في المعاصي ـ إذا بك تراه قد أقلع وتاب؛ فأعزه الله، ونصره.

ومن آثار ذلك ـأيضاًـ تقليب القلوب بأن يجعل الله البغضاء محبة، كما قالت هند بنت عتبة للنبي ﷺ بعد أن أسلمت: «ما كان أهل خباء أحب إليَّ أن يذلوا

من أهل خبائك، واليوم أصبحت وما أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك».

وقد محا الله وعيد من بقي من أهل مكة؛ فرفع عنهم السيف يوم فتح مكة قبل أن يأتوا مسلمين، ولو شاء لأمر النبي ﷺ باستئصالهم حين دخوله مكة فاتحاً.

وبهذا يتحصل أن لفظ ﴿مَا يَشَاءُ﴾ عامٌّ يشمل كل ما يشاؤه الله -تعالى- ولكنه مجمل في مشيئة الله بالمحو والإثبات؛ وذلك لا تصل الأدلة العقلية إلى بيانه، ولم يرد في الأخبار المأثورة ما يبينه إلا القليل على تفاوت في صحة أسانيده.

ومن الصحيح فيما ورد من ذلك قول النبي ﷺ: «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**».

والذي يلوح في معنى الآية أن ما في أم الكتاب لا يقبل محواً؛ فهو ثابت، وهو قسيم لما يشاء الله محوه.

ويجوز أن يكون ما في أم الكتاب هو عين ما يشاء الله مَحْوَه أو إثباتَه سواء كان تعييناً بالأشخاص، أو بالذوات، أو بالأنواع، وسواء كانت الأنواع من الذوات، أو من الأفعال، وأن جملة: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أفادت أن ذلك لا يطلع عليه أحد.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ مراداً به الكتاب الذي كتبت به الآجال، وهو قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، وأن المحو في غير الآجال.

ويجوز أن يكون أم الكتاب مراداً به علم الله -تعالى- أي يمحو ويثبت وهو عالم بأن الشيء سيمحى أو يثبت.

وفي تفسير القرطبي عن ابن عمر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا السعادة والشقاوة والموت**».

وروي مثله عن مجاهد.

وروي عن ابن عباس: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ إلا أشياء الخَلْق -بفتح الخاء وسكون اللام- والخُلُق -بضم الخاء واللام- والأجل، والرزق، والسعادة، والشقاوة، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ الذي لا يتغير منه شيء.

قلت: وقد تفرع على هذا قول الأشعري: إن السعادة والشقاوة لا يتبدلان خلافاً للماتريدي.

وعن عمر وابن مسعود ما يقتضي أن السعادة والشقاوة يقبلان المحو والإثبات.

فإذا حمل المحو على ما يجمع معاني الإزالة، وحمل الإثبات على ما يجمع معاني الإبقاء، وإذا حمل معنى ﴿أُمُّ الْكِتَابِ﴾ على معنى ما لا يقبل إزالة ما قرر أنه حاصل، أو أنه موعود به ولا يقبل إثبات ما قرر انتفاؤه، سواء في ذلك الأخبار والأحكام - كان ما في أم الكتاب قسيماً لما يمحى ويثبت.

وإذا حمل على أن ما يقبل المحو والإثبات معلوم لا يتغير علم الله به - كان ما في أم الكتاب تنبيهاً على أن التغيرات التي تطرأ على الأحكام أو على الأخبار ما هي إلا تغيرات مقررة من قبل، وإنما كان الإخبار عن إيجادها أو عن إعدامها مظهراً لما اقتضته الحكمة الإلهية في وقت ما. ١٣/١٦٤-١٦٧

سورة إبراهيم

١ـ **أضيفت هذه السورة إلى اسم إبراهيم ـعليه السلامـ** فكان ذلك اسماً لها لا يعرف لها غيره.

ولم أقف على إطلاق هذا الاسم عليها في كلام النبيﷺ ولا في كلام أصحابه في خبر مقبول.

ووجه تسميتها بهذا ـوإن كان ذكر إبراهيم ـعليه السلامـ جرى في كثير من السورـ أنها من السور ذوات ﴿ الر ﴾.

وقد ميز بعضها عن بعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء ـعليهم السلامـ التي جاءت قصصهم فيها، أو إلى مكان بعثة بعضهم وهي سورة الحجر، ولذلك لم تضف سورة الرعد إلى مثل ذلك؛ لأنها متميزة بفاتحتها بزيادة حرف ميم على ألف ولام وراء.

وهي مكية كلها عند الجمهور، وعن قتادة إلا آيتي: ﴿ أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾.

وقيل: إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ نزل ذلك في المشركين في قضية بدر، وليس ذلك إلا توهماً ـكما ستعرفهـ.

نزلت هذه السور بعد سورة الشورى، وقبل سورة الأنبياء، وقَدْ عُدَّت السبعين في ترتيب السور في النزول.

وعدت آياتها أربعاً وخمسين عند المدنيين، وخمساً وخمسين عند أهل الشام،

وإحدى وخمسين عند أهل البصرة، واثنتين وخمسين عند أهل الكوفة. ١٣/١٧٨

٢- **واشتملت من الأغراض** على أنها ابتدأت بالتنبيه إلى إعجاز القرآن، وبالتنويه بشأنه، وأنه أُنزل لإخراج الناس من الضلالة، والامتنانِ بأن جعله بلسان العربِ، وتمجيدِ الله -تعالى- الذي أنزله.

ووعيدُ الذين كفروا به بمن أنزل عليه، وإيقاظُ المعاندين بأن محمداً ﷺ ما كان بدعاً من الرسل، وأن كونَه بشراً أمرٌ غيرُ منافٍ لرسالته من عند الله كغيره من الرسل، وضَرَبَ له مثلاً برسالة موسى -عليه السلام- إلى فرعون؛ لإصلاح حال بني إسرائيل.

وتذكيرُه قومَهَ بنعم الله، ووجوبِ شكرها، وموعظتُه إياهم بما حل بقوم نوحٍ وعادٍ ومَنْ بَعْدَهم وما لاقته رسلُهم من التكذيب، وكيف كانت عاقبةُ المكذبين.

وإقامةُ الحجة على تفرد الله -تعالى- بالإلهية بدلائل مصنوعاته.

وذِكْرُ البعثِ، وتحذيرُ الكفارِ من تغرير قادتهم وكبرائهم بهم من كيد الشيطان، وكيف يتبرأون منهم يومَ الحشرِ، وَوَصْفُ حالهم وحالِ المؤمنين يومئذ.

وفضلُ كَلِمَةِ الإسلام، وخُبْثُ كلمةِ الكفر.

ثم التعجيبُ من حال قومٍ كفروا نعمة الله، وأوقعوا مَنْ تبعهم في دار البوار بالإشراك.

والإيماءُ إلى مقابلته بحال المؤمنين.

وعَدّ بعض نعمه على الناس تفصيلاً ثم جَمَعَها إجمالاً.

ثم ذكّر الفريقين بحال إبراهيم -عليه السلام- ليعلم الفريقان مَنْ هو سالكُ

سبيلِ إبراهيمَ -عليه السلام- ومَنْ هو ناكبٌ عنه من ساكني البلد الحرام.

وتحذيرُهم من كفرانِ النعمةِ، وإنذارُهم أن يَحِلَّ بهم ما حل بالذين ظلموا من قبل.

وتثبيتُ النبي ﷺ بوعد النصر.

وما تخلل ذلك من الأمثال.

وخُتِمَتْ بكلمات جامعة من قوله ﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾ إلى آخرها. ١٣/١٧٨-١٧٩

٣- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤)﴾.

إذا كانت صيغة القصر مستعملة في ظاهرها، ومسلطة على متعلقي الفعل المقصور كان قصراً إضافياً؛ لقلب اعتقاد المخاطبين؛ فيتعين أن يكون رداً على فريق من المشركين قالوا: هلا أنزل القرآن بلغة العجم.

وقد ذكر في الكشاف في سورة فصلت عند قوله -تعالى-: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ فقال: كانوا؛ لتعنتهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم، وهو مروي في تفسير الطبري هنالك عن سعيد بن جبير أن العرب قالوا ذلك.

ثم يجوز أن يكون المراد بلغة العجم لغة غير العرب مثل العبرانية أو السريانية من اللغات التي أنزلت بها التوراة والإنجيل، فكان من جملة ما موهت لهم أوهامهم أن حسبوا أن للكتب الإلهية لغةً خاصةً تنزل بها، ثم تُفَسَّر للذين لا

يعرفون تلك اللغة.

وهذا اعتقاد فاش بين أهل العقول الضعيفة؛ فهؤلاء الذين يعالجون سر الحرف والطِّلَّسْمَات يموهون بأنها لا تكتب إلا باللغة السريانية، ويزعمون أنها لغة الملائكة ولغة الأرواح.

وقد زعم السراج البلقيني: أن سؤال القبر يكون باللغة السريانية، وتلقاه عنه جلال الدين السيوطي، واستغربه، فقال:

ومن عجيب ما ترى العينان … أن سؤال القبر بالسرياني

أفتى بهذا شيخنا البلقيني … ولم أره لغيره بعيني

١٨٥/١٣

٤ـ ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ (٣١) ﴾.

استئناف نشأ عن ذكر حال الفريق الذي حقت عليه الكلمة الخبيثة بذكر حال مقابله، وهو الفريق الذي حقت عليه الكلمة الطيبة؛ فلما ابتدئ بالفريق الأول؛ لقصد الموعظة، والتخلي ثُنّي بالفريق الثاني على طريقة الاعتراض بين أغراض الكلام ـكما سيأتي في الآية عقبهاـ.

ونظيره قوله ـتعالىـ في سورة الإسراء: ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً ﴾ إلى أن قال: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

ولما كانوا متحلين بالكمال صيغ الحديث عنهم بعنوان الوصف بالإيمان، وبصيغة الأمر بما هم فيه من صلاة، وإنفاق؛ لقصد الدوام على ذلك؛ فحصلت

بذلك مناسبةُ وقعِ هذه الآية بعد التي قبلها؛ لمناسبة تضاد الحالين.

ولما كان المؤمنون يقيمون الصلاة من قَبْلُ، وينفقون من قبل ـ تَعَيَّن أن المرادَ الاستزادةُ من ذلك؛ ولذلك اختير المضارع مع تقدير لام الأمر دون صيغة فعل الأمر؛ لأن المضارع دال على التجدد، فهو مع لام الأمر يلاقي حال المتلبس بالفعل الذي يؤمر به، بخلاف صيغة: افعل؛ فإن أصلها طلب إيجاد الفعل المأمور به مَنْ لم يكن ملتبساً به؛ فأصل ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ليقيموا، فحذفت لام الأمر تخفيفاً.

وهذه هي نكتة ورود مثل هذا التركيب في مواضع وروده، كما في هذه الآية وفي قوله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في سورة الإسراء، أي قل لهم؛ ليقيموا، وليقولوا، فَحُكي بالمعنى.

وعندي: أن منه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمْ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ في سورة الحجر، أي ذرهم ليأكلوا، ويتمتعوا، ويلههم الأمل؛ فهو أمر مستعمل في الإملاء والتهديد.

ولذلك نوقن بأن الأفعال هذه معمولة للام أمر محذوفة، وهذا قول الكسائي إذا وقع الفعل المجزوم بلام الأمر محذوفة بعد تقدم فعل ﴿قُلْ﴾ كما في مغني اللبيب، ووافقه ابن مالك في شرح الكافية.

وقال بعضهم: جزم الفعل المضارع في جواب الأمر بـ﴿قُلْ﴾ على تقدير فعل محذوف هو المقول دل عليه ما بعده.

والتقدير: «قل لعبادي أقيموا يقيموا وأنفقوا ينفقوا».

وقال الكسائي وابن مالك: إن ذلك خاص بما يقع بعد الأمر بالقول كما في هذه الآية، وفاتهم نحو آية: ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** ﴾. ١٣/٢٣١_٢٣٢

٥ـ ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ(٤٠)رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ(٤١) ﴾.

جملة مستأنفة من تمام دعائه، وفعل ﴿ اجْعَلْنِي ﴾ مستعمل في التكوين ـ كما تقدم آنفاً ـ أي اجعلني في المستقبل مقيم الصلاة.

والإقامة: الإدامة، وتقدم في صدر سورة البقرة.

﴿ **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي** ﴾: صفة لموصوف محذوف معطوف على ياء المتكلم، والتقدير: واجعل مقيمين للصلاة من ذريتي.

و﴿ مِنْ ﴾ ابتدائة[1] وليست للتبعيض؛ لأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لا يسأل الله إلا أكمل ما يحبه لنفسه ولذريته.

ويجوز أن تكون ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض؛ بناءً على أن الله أعلمه بأن يكون من ذريته فريق يقيمون الصلاة، وفريق لا يقيمونها، أي لا يؤمنون.

وهذا وجه ضعيف؛ لأنه يقتضي أن يكون الدعاء تحصيلاً لحاصل، وهو بعيد، وكيف وقد قال: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ ولم يقل: ومن بني.

ودعاؤه بِتَقَبُّل دعائه ضراعةٌ بعد ضراعة.

وحذفت ياء المتكلم في ﴿ دُعَاءِ ﴾ في قراءة الجمهور؛ تخفيفاً كما تقدم في قوله ـتعالىـ: ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ في سورة الرعد.

١ـ هكذا في الأصل، ولعل الصواب: ابتدائية. (م)

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة بإثبات الياء ساكنة.

ثم دعا بالمغفرة لنفسه، وللمؤمنين، ولوالديه ما تقدم منه ومن المؤمنين قبل نبوته، وما استمر عليه أبوه بعد دعوته من الشرك.

أما أمه فلعلها توفيت قبل نبوته.

وهذا الدعاء لأبويه قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله ـ كما في آية سورة براءة ـ.

ومعنى: ﴿يَقُومُ الْحِسَابُ﴾: يثبت، استعير القيام للثبوت؛ تبعاً لتشبيه الحساب بإنسان قائم؛ لأن حالة القيام أقوى أحوال الإنسان؛ إذ هو انتصاب للعمل.

ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق، إذا قويت واشتدت، وقولهم: ترجلت الشمس، إذا قوي ضوءها. ١٣/٢٤٤ـ٢٤٥